وزارة التعليـــم العالـــي والبحـــث العلمي

جامعـــة الدكتور يحي فـــارس

كليـــة الآداب واللغـــات

قســـم: اللغـــة العربيـــة والأدب العربـــي

توظيف التراث في الرواية الجزائرية المعاصرة

الخبز والإدام لـــ: محمد بورحلة

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في الأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعـــداد الطالبين:

دريس عبد النور

سفيان بن سليمان

إشـــراف الأستـــاذة:

أ/ جوابلية نوال

السنـــة الجـــامعيـــة: 2021-2022


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

فاتحة كل خير وتمام كل نعمة

طلب الدنيا داء وطلب العلم دواء

إلى الّذين يحملان مفتاح جنتي،وسر رضى ربي عني

إلى من لا سبيل للنجاح إلا بهما

إلى اللذان مهما عبرت فلن أكفيهما أفضالهما.

إلى والديّ.

إلى فخري واعتزازي أخي وأخواتي.

إلى كل الأصدقاء الأهل والأقارب من قريب وبعيد

إلى شريكي في العمل عبدالنور إلى رفيق دربي عبدالله

إلى من لاقاني به القدر ليكون مفتاح هذا العمل إبراهيم حركات

إلى كل من تحفظهم الذاكرة

ولكل من يتصفح هذه المذكرة

أحبكم في الله

بن سليمان سفيان.

إهداء

أود أن أهدي..

أن أبكي..

أن أزكي..

بفضل الله كان العمل نتاج تعب وشقاء

لا أذاقكم الله مرارته ورزقكم لذة الهناء والرخاء

تذكرونا بالدعاء فهذا العمل محطة لقاء

إن بدأت الثناء ستنتحر الكلمات وتباد معاجم الأدباء

فلطالما كان السهو للإنسان داء

لذا سأذكر الألقاب وأدع الأسماء

وأخص منها أبواب جنتي وإخوتي وكامل أحبتي وأساتذتي الأجلاء

لكم مني كل هذا الإهداء

إلا هو..

عبد النور دريس.

مقدمة

تعد الرواية من أشهر الأنواع الأدبية وأوسعها انتشارا بين أوساط القراء ، كما تعد من أقدام الفنون الأدبية وجودا فهي الفن العبر عن حياة الشعري وقضاياه وقد اختلفت الروايات الجزائرية بعدة قضايا الأمة ومن بين هذه القضايا البحث عن التراث الذي يعد سمة من سماتها، والذي يعمل على إرساء المعالم الشخصية وتثبيتها.

ونحن نقتصر في دراستنا هذه على الرواية العربية الجزائرية لما لها من أهمية في إثراء الأدب العربي حيث نجد في هذا المجال مجموعة من المبدعين الذين اهتموا بالتراث قلبا وقالبا الروائي واسيني الأعرج و عبد الرحمن بن هدوقة ، والطاهر وطار الذين حفلت أعمالهم زخم هائل من أشكال التراث المختلفة وألوانه المتباينة.

وعلى هذا الدرب سار جيل جديد تأثر بهذا النهج الذي سلكه مؤسسو الرواية الجزائرية، ومن بينهم " محمد بورحلة " في نصه " الخبز والإدام " مما يحيلنا بلا شك إلى الرغبة في الاطلاع على هذه التجربة، ومدى غناها هي الأخرى بما خلفه التراث من رصيد أدبي وديني وشعبي...

ويقف وراء سبب اختيارنا لهذا البحث المتميز أيضا ما يتسم به هذا الموضوع من ثراء وغنى وغوص في أعماق الواقع الوطني والقومي والإنساني، واعتززنا بالموروث الثقافي وتراثنا، لأنه لا جديد بدون القديم، وتميز " محمد بورحلة " في توظيف التراث في نص أعماله، ورواية " الخبز والإدام " خاصة إذا وظفت الرواية التراث بشتى أنواعه.

فجاء بحثنا موسوما بـــــ" توظيف التراث في الرواية الجزائرية المعاصرة " الخبز والإدام " لمحمد بورحلة

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة عن التساؤلات التالية:

-ما هي تجليات التراث في رواية الخبز والإدام لصاحبها محمد بورحلة؟

- ما مفهوم التراث؟

- ما أهمية التراث؟

- وكيف وظف الروائي هذا التراث؟

ولأن البحث يحتاج إلى عمود فقري يسنده ويقوي بنيانه، والمتمثل في الخطة التي تحدها معالم الدراسة، فقد جاءت خطة البحث مكونة من مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة

فتناولنا في الفصل التمهيدي نشأة وتطور الرواية الجزائرية، أما الفصل الأول فهو فصل نظري حاولنا فيه رصد أهم المفاهيم النظرية المتعلقة بمفهوم التراث لغة واصطلاحا، وأنواعه، كما تطرقنا لأهمية التراث في الرواية، وعلاقة التراث بالرواية المعاصرة، أما الفصل الثاني وهو فصل تطبيقي فقد خصصناه لدراسة التراث وتجلياته في رواية " الخبز والادام "، حيث طبقنا لما نظرناه في الفصل الأول، لنلخص إلى خاتمة تضمنت أهم ما توصلنا إليه من نتائج في هذه الدراسة وقد اعتمدت هذه الدراسة

على المنهج الوصفي التحليلي المدعم بالمنهج التاريخي، واعتمدنا خلال هذه المسيرة العلمية على عدد من المراجع منها:

- محمد عابد الجابري، التراث والحداثة دراسات ومناقشات المركز الثقافي العربي.

- رمضان الصباغ، في نقد الشعر العربي المعاصر.

- محمد حسين سليمان، التراث العربي الإسلامي.

- جمال محمد مناصرة، المسرح العربي بين مناهج التراث والقضايا المعاصرة.

أما أبرز الصعوبات والعراقيل التي واجهتنا في هذه الدراسة، فهي اتساع موضوع (التراث) وتداخل بعض المواضيع التي تناولت قضية التراث .

فصل تمهيدي

توظيف التراث ونشأة الرواية

يسعى الإنسان دائما إلى المحافظة على هويته وأصالته، ليتميز عن باقي الشعوب الأخرى، وهذا ما يجعل الأمم تسعى جاهدة لإحياء أمجادها الماضية، وهو ما يظهر دور التراث الحضاري لأي أمة في خلق تواصل بين الأجيال من أجل بناء المستقبل وتوطيد أوامر العلاقة مع الماضي، فالإنسان موصول بماضيه الذي يعيش بداخله، هذا الماضي يؤثر في تكوينه النفسي والفكري فتنعكس على إنتاجاته الثقافية، وهو ما ولد فكرة " توظيف التراث " في الأعمال الإبداعية خاصة الروائية.

ومن هنا وجب علينا الوقوف على مصطلح التوظيف ودلالته.

كلمة توظيف في الأصل اللغوي هي من مصدر الفعل « وَظَّفَ، يُوظف، توظيفاً، بمعنى استخدم استعان، استعمل».[1]

أما المعنى الاصطلاحي لها هو « استخدام شيء ما لأغراض ومصالح معينة، أو وضع شيء في المكان الذي نراه مناسبا له والذي يمكن من خلاله إنتاج عمل مفيد». [2]

فمن خلال المعنى الاصطلاحي والتتالي اللغوي للألفاظ (وظّف، يُوظف، توظيفا) يتأتى لنا أن الكاتب والمبدع يعتمد إلى توظيف التراث لإنتاج القيمة للشيء المُوَظَف، لأن واقع الكتابة الروائية بالجزائر يؤكد القول بأن التراث هو وسيلة الكاتب الجزائري

[1] جعفري يايوش، الأدب الجزائري الجديد، التجربة والآمال، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا،الجزائر، ص 67 .

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

لتحقيق غاياته، فلو اطلعنا على النصوص السردية الروائية نرى أن أصحابها تمكنوا إلى حد ما من التوفيق بين التراث الماضي كوسيلة، والواقع الحاضر كغاية.

التوظيف نوع من أنواع التناص، يقول عبد السلام المسدي : « توظيف التراث هو عملية مزج بين الماضي والحاضر في محاولة لتأسيس زمن ثالث منفلت من التحديد هو زمن الحقيقة في فضاء لا يطوله التغيير».[1]

فالتوظيف في منظوره لا يعد كاملاً ما لم يحمل أبعاداً معاصرة، لأن التوظيف هو أن يستفيد النص من نتاج تراث في الأعمال الأدبية وتضمينها رؤى فكرية جديدة ومعاصرة.

وعليه فعملية التوظيف هي استحضار واعٍ لمواد التراث واستخدامها كرمز " لحمل معاناة الكاتب أو التعبير عن إشكاليات وحوادث معاصرة وَجَدَ في الماضي ما يشبهها، فيتم استحضار الحادثة القديمة " لتعميق الإحساس والاستفادة من الحادثة الجديدة.

وعملية توظيف التراث ليست بالأمر السهل ولا هي في متناول الجميع، لأن نجاح هذه العملية مرهون بمدى وعي الكاتب وانتقائه الذكي لمواد هذا الموروث .

[1] عبد السلام المسدي، توظيف التراث في الشعر العربي المعاصر، مجلة العربي، العدد 416، 1993، الكويت، ص 85 .

إن البحث عن الهوية سمة من سمات البشرية، وهو الإيقاع المحوري لكل ثقافة، فالمبدع بدوره دائما عن الخصوصية والتميز في عالم يعج بالأطروحات الجديدة والمتجددة. والحديث عن التراث يقودنا إلى الحديث عن المعاصرة، إذ يرتبط مصطلح التراث بلفظة المعاصرة أو الحداثة إذ لا نجد لفظة التراث إلا ونجد معها الحداثة أو المعاصرة بالرغم من تناقض اللفظتين.

وقد يرتبط أي عمل أدبي في بعض الأحيان بالإطار الحضاري العام في مستوياته الثقافية والاجتماعية والسياسية المختلفة، وهذا الارتباط ليس بجديد عنها، فقد كان الروائي دائما يعبر عن روح الحضارة المتميزة في كل عصر، ومن ثم يعد كل عمل أدبي عصري بالقياس إلى عصره، وهذه العصرية نابعة من هذه الحقيقة ومؤكدة لها، لأنه يعبر عن عصرنا بكل أبعاده الحضارية ولا تعبر عن أي عصر آخر، وهذه الخطوط العامة المميزة لعصرية العمل الأدبي لم تتورط في العصرية المطلقة فهي لم تسقط الزمن الماضي وما في من خبايا. ولم يقطع الصلة بين الماضي والمستقبل وإنما فقط ارتباط الحاضر بالماضي أو الواقع بالتاريخ.

إن الإنسان المعاصر ليس مسؤولا فقط عن حاضره ومستقبله، بل هو مسؤول أيضا وبشكل ما عن ماضيه، ويقع عبء محاكمة الماضي وإعادة تفسيره من جديد على عاتقه، ومن هنا يكون الكاتب مجبرا على أن يعود إلى التراث محاولا الربط في كتاباته

بين الحاضر والماضي، أو بين الواقع والتاريخ، حتى يتمكن من فهم عصره، ولهذا حاول الكاتب أن يبني الصلات المعنوية التي تربطه بالتراث عامة.

ولهذا كان التراث ولا يزال مصدرا ثريا يأخذ منه الكتاب والشعراء الذين يمثل التراث لهم جزءا هاما من ثقافتهم، حيث أسهم في تكوين خيالهم ولغتهم، وأضفى على أعمالهم حلة أنيقة، وأصبح مصدرا يستوحون منه الصور بأدواتهم الفنية في كتاباتهم فهم يبدعون، ويختلف هذا الإبداع من كاتب لآخر من ناحية الكم والكيف، وذلك حسب الانتماء الطبقي لهذا المبدع، ونوعية علاقته بطبقة سواء كانت علاقة معايشة أو انتماء أو علاقة إعجاب وتعايش، كما قد يكون تأثر الأديب بالتراث تأثرا عفويا، لان هذا التراث يمثل تأثرا مقصودا يسعى إليه الأديب بإصرار عن طريق دراسة أشكال التراث في صورة فنية فكثير من الأدباء أدخلوا التراث في إنتاجهم لتعاملهم معه بكل عفوية.

إن البحث عن الهوية سمة من سمات البشرية، وهو الإيقاع المحوري لكل ثقافة، فالمبدع بدوره دائما عن الخصوصية والتميز في عالم يعج بالأطروحات الجديدة والمتجددة. والحديث عن التراث يقودنا إلى الحديث عن المعاصرة، إذ يرتبط مصطلح التراث بلفظة المعاصرة أو الحداثة إذ لا نجد لفظة التراث إلا ونجد معها الحداثة أو المعاصرة بالرغم من تناقض اللفظتين.

وقد يرتبط أي عمل أدبي في بعض الأحيان بالإطار الحضاري العام في مستوياته الثقافية والاجتماعية والسياسية المختلفة، وهذا الارتباط ليس بجديد عنها وبدعا، فقد كان

الروائي دائما يعبر عن روح الحضارة المتميزة في كل عصر، ومن ثم يعد كل عمل أدبي عصري بالقياس إلى عصره، وهذه العصرية نابعة من هذه الحقيقة ومؤكدة لها، لأنه يعبر عن عصرنا بكل أبعاده الحضارية ولا تعبر عن أي عصر آخر، وهذه الخطوط العامة المميزة لعصرية العمل الأدبي لم تتورط في العصرية المطلقة فهي لم تسقط الزمن الماضي وما في من خبايا. ولم يقطع الصلة بين الماضي والمستقبل وإنما فقط ارتباط الحاضر بالماضي أو الواقع بالتاريخ.

إن الإنسان المعاصر ليس مسؤولا فقط عن حاضره ومستقبله، بل هو مسؤول أيضا وبشكل ما عن ماضيه، ويقع عبء محاكمة الماضي وإعادة تفسيره من جديد على عاتقه، ومن هنا يكون الكاتب مجبرا على أن يعود إلى التراث محاولا الربط في كتاباته بين الحاضر والماضي، أو بين الواقع والتاريخ، حتى يتمكن من فهم عصره، ولهذا حاول الكاتب أن يبني الصلات المعنوية التي تربطه بالتراث عامة.

ولهذا كان التراث ولا يزال مصدرا ثريا يأخذ منه الكتاب والشعراء الذين يمثل التراث لهم جزءا هاما من ثقافتهم، حيث أسهم في تكوين خيالهم ولغتهم، وأضفى على أعمالهم حلة أنيقة، وأصبح مصدرا يستوحون منه الصور بأدواتهم الفنية في كتاباتهم فهم يبدعون، ويختلف هذا الإبداع من كاتب لآخر من ناحية الكم والكيف، وذلك حسب الانتماء الطبقي لهذا المبدع، ونوعية علاقته بطبقة سواء كانت علاقة معايشة أو انتماء أو علاقة إعجاب وتعايش، كما قد يكون تأثر الأديب بالتراث تأثرا عفويا، لان هذا

التراث يمثل تأثرا مقصودا يسعى إليه الأديب بإصرار عن طريق دراسة أشكال التراث في صورة فنية فكثير من الأدباء أدخلوا التراث في إنتاجهم لتعاملهم معه بكل عفوية.

الفصل الأول: التراث في الرواية الجزائرية المعاصرة

- المبحث الأول: ماهية ومفهوم التراث.

1- مفهوم التراث

2- أهمية التراث

3- علاقة التراث بالرواية

- المبحث الثاني: أنواع التراث.

1-التراث الشعبي (الفلكلور)

2-التراث الأدبي

3-التراث الديني

4-التراث التاريخي

المبحث الأول: ماهية ومفهوم التراث

1- مفهوم التراث :

أ-تعريف التراث لغة:

جاء في **لسان العرب:** « ورثَ الوارثُ صفةً من صفاتِ الله عز وجل، وهوَ الباقي الدائمُ الذي يرثُ الخلائقَ ويبقى بعد فنائهمْ، والله عز وجل يرثُ الأرضَ ومن عليهَا، وهو خيرُ الوارثينْ أي يبقى بعد فناءِ الكل ويفنى من سواهُ ويرجعُ ما كان ملكُ العبادِ إليه وحدهُ لا شريكَ لهُ ».[1]

وقد ورث لفظ التراث في **القرآن الكريم** في قوله تعالى: {أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.[2]

ويقول **تعالى إخبارا عن زكرياء** دعائه إياه:{يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا}.[3]

وقال **عز وجل:** {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ}.[4]

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب،مادة (و.ر.ث)، دار لسان العرب، ج3، إ. يوسف الخياط، بيروت، ص907.

[2] سورة المؤمنون،الآية 11/09.

[3] سورة مريم،الآية 06/05.

[4] سورة النمل،الآية 16.

هذا وقد جاء في لسان العرب تعريف **لابن أعرابي 845م:** «الورث والإرث والوراث والاراث والتراث واحد، ورث (ورث) أباه (ورث) الشيء من أبيه (يرثه) بكسر الراء في (ورثا) و(ورثه) و(وراثة)».[1]

وقد ورث كلمة التراث في **القران الكريم** مرة واحدة في سياق قوله تعالى: {كَلَّا ۖ بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا}.[2].

وقد فسر **الزمخشري** 538 هـ/1143 م عبارة « تأكلون التراث أكلا لما" أي:«كانوا يجمعون في أكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيره» ف"التراث" هنا المال الذي تركه الممالك وراءه».[3]

وقد فرق بعض **اللغويين القدامى** بين (الورث) و(الميراث) على أساس أنهما « خاصان بالمال وبين (الإرث) على أساس أنه خاص بالحسب».[4]

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ص 907.

[2]_ سورة الفجر،الآية 20/17

[3]– محمد عابد الجابري، التراث والحداثة دراسات ومناقشات، المركز الثقافي العربي،سوريا، ط1، 1991، ص222.

[4]– رمضان الصباغ، في نقد الشعر العربي المعاصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط1، 1998، ص368.

ب- تعريف التراث اصطلاحا:

عند قراءة التعريفات المختلفة لكلمة تراث يتضح لنا أن مجاله واسع ومتشعب إلى حد كبير، كما يشتمل على معاني متداخلة، لذلك حاول كثير من الباحثين الاجتهاد في ضبط مفهوم التراث بدقة، وإيضاح إطاره الوظيفي والمعرفي من خلال عدة تعريفات، ولكن الملاحظ إنها وان كانت تتفق حول الخطوط العريضة لمفهوم التراث فإنها بالمقابل لا تجتمع على تعريف دقيق وشامل، غير أنها تصب في قالب واحد وهو ما تضمنته كافة الانتاجات الشعبية من أدب وفنون وعادات وكل ما يمت بصلة إلى الإنتاج الشفوي والمالي الموروث عن الأجيال الماضية.

عرف **سالم مكرم** التراث بأنه هو « ما خلفه لنا السابقون أو اللاحقون من أدب وعلم وفنون، وهو لا يقتصر على زمن معين لأنه ليس هناك حدود معينة لتاريخ أي تراث، فكل ما خلفه المؤلف بعد حياته من إنتاج يعد تراثا فكريا».[1]

يقتصر التراث عنده عن ما خلفه أجدادنا من فنون متعددة ومتجددة، وليس كل ما يتضمنه أو يسجله التاريخ فقط. يعد تراثا بل ما تركه أجدادنا بمختلف أشكاله يعد تراثا.

[1]- سالم مكرم، التراث وثقافة الأمة، مجلة العلوم الإنسانية، ع 35، جامعة كويت، 1989، ص192.

ويعرفه الدكتور **محمد عابد الجابري 2010/1935م** بأنه: «الجانب الفكري في الحضارة العربية الإسلامية، العقيدة، الشريعة واللغة والأدب والفن، والكلام والفلسفة والتصوف».[1]

ويعرفه **رمضان الصباغ:** «هو ذلك الموروث الثقافي والديني والفكري والأدبي والفني وكل ما يتصل بالحضارة والثقافة وتراثنا هو الموروث في كل أنحاء العالم من القصص والحكايات جميعا من عادات وتقاليد وطقوس كما أن تراثنا هو ما ورثناه من كل الأجيال السابقة».[2]

بمعنى أنه كل ما ورثته لنا الأجيال السابقة في مختلف الميادين الثقافية والدينية والفكرية وغيرها من الميادين.

أما **جبور عبد النور** عرفه بأنه:«هو ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب وخبرات وفنون وعلوم في شعب من الشعوب وهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي والإنساني والسياسي والتاريخي والخلقي ويوثق علائقه بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وأغناؤه».[3] لذلك يعد التراث ركيزة أساسية للأمة، ومن ركائز بنائها الحضاري فهو المعبر عن هويتها الثقافية، وعنوان اعتزازها بشخصيتها،

[1]– محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، المرجع السابق، ص30.

[2]– رمضان الصباغ، في نقد الشعر العربي، مرجع سابق، ص 368.

[3]– عبد النور جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1979، ص 63.

والراصد لأهم محطات تاريخها وعادتها وتقاليدها، وما يكتنزه من المواضيع التي تحفل بالقيم الأخلاقية والعبر التي تتعلق بحياتنا على كافة مستوياتها.

2- أهمية التراث:

يشكل التراث لكل امة الجذور والذاكرة التي تحتوي على مكونات وعيها التاريخي من العلوم، الأدب، والفنون....وهو بذلك يصيغ شخصياتها ووجدانها وهويتها.

«ومثلما لا يمكن لأي شخص أن يتنكر لماضيه ولمكوناته البيئية منها والوراثية، وكذلك لا يمكن لأي شعب من الشعوب أن يتنكر لتراثه، ويتجاوز تركيبته الروحية والفكرية».[1]

ففي نظرنا ومما فهمناه هو أن التراث يؤدي دورا هاما في الحياة الثقافية للأمم، خاصة وأنه يواكب المجتمع ويساير مختلف المراحل التي يمر بها.

وتكمن أهمية التراث فيما يلي:

- الحفاظ على الأصالة في ظل المتغيرات الدولية وفي ظل الحضارة وتأثيراتها التي أخذت تتوسع على حساب هذا الموروث، خاصة أن الأجيال الجديدة أخذت تتفاعل بصورة أسرع مع الحضارات منها الحضارة الغربية الوافدة إليها تتأثر بها أكثر مما تؤثر فيها، فما بين الثابت والمتغير والوهم والحقيقة تبقى عملية المحافظة على الأصالة التي هي المحور

[1]- إسماعيل حسين، موروثنا الشعبي الهوية الضائعة، جريدة الجزيدة، ع10575، ط1، السعودية، 2001.

الرئيسي، فالماضي والحاضر والمستقبل سلسلة متواصلة ومترابطة والرابط بينهم هو التراث.

*ومن هنا فهو يجسد الحضارة للإنسان والمحافظة على خصوصيته الثقافية.

– وغنى تراثنا وتعدد مناحيه، وماله من أثر في ربط الحاضر بالماضي وتوجيهه لمسيرة الأمة أعطى له من الأهمية ما جعله عنصرا مهما في تكوين الشخصية الحضارية

في هذا العصر، فالرجوع إلى الماضي أمر ضروري لاستمرار الحيوية في الفكر، « فالحضارة الجديدة أيا كان نوعها لا تولد من العدم، وإنما تقتبس من القديم وتسهم فيه بالإضافة والتعديل ثم تقدم حلقة جديدة من السلسلة الحضارية والفكرية».[1]

– تحديد شخصية الأمة العربية ودورها في العالم المعاصر، هو عالم تتصارع ففيه الآراء والأفكار والمذاهب، وتقف الأمة العربية وسط هذا الصراع في حيرة من أمرها، « ولو عادت هذه الأمة إلى تراثها وخاصة الديني والتاريخي والاجتماعي لتجد بين الكتب ما يبين فكرها ووعي أبناءها».[2]

– ومن الواضح أيضا، بل من البديهيات أن الماضي حضور حتمي لا تستطيع أي ثورة أن تنفيه، لأنه أرسخ وأكثر سموا، وأبرز شاهد على ذلك هو اللغة، وغيرها فان الشاعر الحديث لا يريد إنكارها وإلا لم يكن شاعرا عربيا بكل ما يحمله هذا الوصف من

[1]– محمد حسين سليمان، التراث العربي الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988، ص 63.

[2]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

مميزات لغوية ولكنه –التراث– إنما يعني « التحول بها إلى مستوى يحقق ذاتيتها ويطبع على تاريخ اللغة ختمه».[1]

– والتراث الوسيلة الأساسية التي تمكن الشاعر من الاستمرار في الإبداع والكتابة، إذ بواسطته يتاح له نقل أحاسيسه الوجدانية وتجربته الشعرية إلى الجمهور المتلقي، لما في التراث من لغة وقيم، ورموز وصور عرفت دلالتها على نطاق واسع، وبذلك يحدث الشاعر إثارة ومتعة في الجمهور وتتم له المشاركة في فهم الشعر وتذوقه.[2]

إذن، وبالتالي فالتراث يقوم بربط الحاضر بالماضي ويوجه الأمة في مسيرتها ويمدها بالقوة المعنوية والثقة بالنفس كما يساعد على الإبداع، فمن العودة إلى حدود تاريخية وأصول تراثية ما أمكننا الإبداع.

3- علاقة التراث بالرواية:

إن القارئ للنصوص الفكرية المختلفة في عصرنا، والمستمع للمحاضرات والمناقشات التي تدور حول هذه النصوص، إلا ويجد فيها شيئا من التراث، فالنصوص الأدبية الحديثة والمعاصرة لا تكاد تخلق من النصوص التراثية ويكاد لا يخفى هذا على التفاعل والتناص بينهما.

[1]– إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط3، 2001، ص 111.

[2]– إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، المرجع السابق، ص 112.

« تعد الرواية أكثر الأجناس الأدبية التصاقا بالتراث، وأوثقها صلة به في بداية عهد النهضة الحديثة، واتخذوها ملجأ يأوون إليه في أوقات الشدة من أجل صد هجمات الغزو الأجنبي الذي حاول بشراسة أن يزيل كل معالم تاريخ الشخصية الجزائرية وماضيها وكل ما له علاقة بآثار الآباء والأجداد».[1]

فالرواية الجزائرية قد تعرضت لكثير من التطورات شكلا ومضمونا، وهي بوصفها« نوعا جيدا قدمت لنا قراءات خاصة لهذا التراث تبرز خصوصيتها في الكتابات الروائية التي تظهر إنتاجيتها في تقديم نصوص جديدة تتأسس على قاعدة استلهام النص السردي القديم واستيعاب بنياته الدالة وصياغتها بشكل يقدم امتداد التراث في الواقع، وعملها على انجاز قراءة للتاريخ وتجسيد موقف منه بناء على ما تستدعيه مقتضيات ومتطلبات الحاضر والمستقبل».[2]

ولا يحملنا هذا التصور على النظر إلى التراث على أنه البديل الراهن مادمنا نفهم العصر بأنه عصر الغرب ولا نعتبره تصعيدا لواقعنا الذاتي العاجز والمتخلف والمنهزم،

ولا خلاصا من هموم مشاكل تؤرق أمتنا...ولكن « كواقع ما يزال يمتد بيننا وجزءا أساسيا من كياننا الذاتي الوجداني والتخييلي».[3]

---

[1]– سعيد سلام، التناص التراثي في الرواية الجزائرية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010، ص 318.

[2]– سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط1، 1992، ص 32.

[3]– المرجع نفسه، ص 144.

إن حضور التراث في الكتابة الإبداعية الجديدة يعني أن المبدع أثناء تحليله للنتاج الفكري والمعرفي التراثي، يحاول تجاوز ذلك الانفصال بين النص التراثي وأشكال الوصاية وتجسيداته الفكرية والجمالية، وبين ما يظهره التراث وما يحمله في جوهره وأمام هذا الواقع تسعى الكتابة الإبداعية « لتحوير جانب المعرفة التراثية في مختبر الكتابة الإبداعية لخوض مغامرة تحليل وتفكيك الخطاب التراثي ».[1]

فالروائي في استلهامه لتراثه، هو بصدد خوض الهدم والبناء للنص التراثي، وتلك الجدلية تجعله يتجاوز الانفصال بين النص الروائي وأشكال الوصاية المعرفية التي يحملها التراث، وعلى هذا الأساس يمكنه تحرير رؤيته، وبالتالي تأسيس رؤية إبداعية تتلاءم ورؤية العالم.

في إطار التفكيك والتلجيم أو الهدم والبناء يتولد النص الجديد نص من التراث لواقع لم يعد من التراث واقع "ما بعد التراث" وبالتالي سيتم السعي لبناء ذات واعية بماضيها مؤسسة لرؤية ابستمولوجية استشراقية للمستقبل وبالتالي « يقترن المتخيل في الكتابة الجديدة بحاضر الحياة في كل لحظة من لحظات التواصل و التصالح مع الذات والآخر لأنه يكسر التكرار ويخرج على أطر المألوف، ويخلق إيقاعا زمنيا ممتدا لا علاقة له

[1]– سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي، المرجع السابق، ص144.

بالضرورة – بالزمن العام–زمن التراث، فالمتخيل حين يخلق هذه الزمنية الخاصة فإنه يبدع وجودا مختلفا يوفر إمكانية التوازن الذاتي والجماعي مع الراهن».[1]

فالنص الذي يمنح من التراث إنما ينقل صاحبه من مجرد التأريخ إلى الإبداع إلى اكتشاف مستويات جمالية فنية في المورث من جهة والى الإخبار عن ذلك المسكوت عنه من جهة أخرى.

وعندما يلتقي التراث والرواية «يصبحان كالمرايا متناظرة تتراءى فيها الأبعاد متداخلة، وتبدو فيها الذات رواية مروية وروائية مرئية».[2]

إن الرواية الجزائرية المعاصرة، قد حاولت أن تجيب عن أسئلة الراهن الجزائري بكل ما فيه من تناقضات مخيفة ومرئيات حزينة ووجود ممسوخ، فاتجهت في فترة السبعينات والثمانينات إلى استعاد التاريخ النضالي للشعب الجزائري. فالواقع أقسى من أن يتجاهله المبدع أو الكاتب وعندما يؤلف **رشيد بوجدرة** "رواية تيميمون 1994" أو يكتب **الطاهر وطار**"الشمعة والدهاليز1995" **ومحمد بورحلة** "الخبز والادام" ... غيرهم كثيرا فإن هذا الإبداع يمثل قمة التحول في مستويات الخطاب الفني.

[1]– محمد نور الدين أفانية، المتخيل والتواصل، دار المنتخب العربي، ط1، لبنان، 1993، ص17.

[2]– سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي، المرجع السابق، ص 146.

المبحث الثاني: أنواع التراث:

1- التراث الشعبي (الفلكلور):

يعد توظيف التراث الشعبي ظاهرة بالغة الحضور في النصوص الأدبية، وهو المادة الخام التي يستلهم منها الكتاب ما يناسب موضوعاتهم، باعتباره ذلك الموروث الذي يعد صوتا للشعب وهوية من هوياته من سير شعبية والأساطير والقصص والخرافات والعادات، فالأدب الشعبي كما يرى "**حسين نصار**" هو «الأدب الذي يصدره الشعب فيعبر عن وجدانه، يمثل تفكيره، ويعكس اتجاهاته ومستوياته الحضارية».[1]

ولقد اختلف النقاد في تحديد في مفهوم الأدب الشعبي فمنهم من عرفه بأنه: «الأدب المجهول المؤلف العامي للغة، المتوارث جيلا بعد جيل بالرواية الشفوية»[2] وهناك من يرى بأن: « الأدب المعبر عن مشاعر الشعب في لغة عامية أو فصحى».[3]

كما اقترب نقاد ومؤرخين من التعريف الأول ورأوا أن الأدب الشعبي هو:«لأدب العامي، قديما كان أو حديثا، مسجلا كان أو مرويا شفاها مجهول القائل أو المعروف».[4]

التعريف الأول ينظر إلى الأدب الشعبي من ناحية الشكل وتم ربطه باللغة العامية، في حين أن الثاني نظر إلى الأدب الشعبي من ناحية المضمون مع المزاوجة بين اللغتين

---

[1]- حسين نصار، الشعر الشعبي العربي، منشورات اقرأ، ط2، لبنان، 1980، ص 11.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

[4]- المرجع نفسه، ص 12.

الفصحى والعامية، أما التعريف الثالث فنجد فيه نوعا من التقارب مع التعريف الأول، ولكنه أعاد الاعتبار للقائل (المؤلف) بعدما كان مجهولا حسب التعريف الأول.

يطلق مصطلح التراث الشعبي «ليشمل ما تراكم خلال الأزمنة من موروث أمة مدى أجيال من أفعال وعادات وتقاليد وسلوكات وفنون وكل ما يتعلق بما يرثه الشعب عن الأجداد».[1] ويقابل هذا المصطلح لفظة "فولكلور" و"الموروث الشعبي" وبذلك يظل الأدب الشعبي وعاء ثقافيا وفكريا يحتوي اللغة والدين والتاريخ وغيرها من ألوان المعرفة الأخرى.

2- التراث الأدبي:

يتميز التراث العربي بالاتساع والشمولية والانفتاح على الأجناس الأخرى كالرواية، والقصة، والشعر، والمسرح، ولاشك أن التراث الأدبي نال حظه وحصته من الاهتمام والتوظيف، خاصة وأننا قلما نجد عملا أدبيا لا يستعين بالتراث الأدبي مادة في كتابته: «ومن الطبيعي أن يكون التراث الأدبي هو أثر المصادر التراثية وأقربها إلى النفوس، ومن الطبيعي أن تكون شخصيات هؤلاء الأدباء من بين الشخصيات اللصيقة بنفوسهم، لأنها هي التي عانت التجربة الحسية ومارست التعبير عنها، وكانت هي ضمير عصرها

[1]- الطاهر بولحية، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية، منشورات التبيين، الجزائر، 2000، ص9.

وصوته، والأمر الذي أكسبها قدرة خاصة على التعبير عن تجربة الشاعر في كل عصر».[1]

فالتراث الأدبي قريب من نفوس الأدباء والشعراء، لأنه يمثل الواقع المعاش، و يصور لهم مسرح الحياة سواء كانت سعيدة أو حزينة. كما أنه يتيح للكاتب أو الشاعر أن يعبر عن ذاته ويعكس من خلاله حياته الطويلة، ويمكن للقارئ أن يقف عند الكثير من الأعمال الأدبية التراثية، من بينها حكايات ((ألف ليلة وليلة)). « فأكثر ما يميز حكايات ألف ليلة وليلة هو المزج بين التاريخ والأسطورة من جهة ومن جهة أخرى فهي تراث شعبي أدبي».[2]

نلاحظ بأن الحكايات تمزج بين التاريخ على أساس وجود حروب وأبطال بين الملك وأعداد من الجيوش. كما توظف الأعمال الأدبية أيضا الأسطورة التي تمتزج بين الواقع والخيال، ففي أسطورة "علاء الدين وحكايات الجان..." ومن حيث التراث الشعبي الأدبي هو انتقاله عن طريق المشافعة من جيل إلى آخر وصولا إلى الآن، فهو يروي لنا حياة شعب ما، وينقل لنا أهم ما تمارسه الشعوب من عادات وتقاليد.

كذلك نجد توظيف التراث الأدبي من خلال حكايات «كليلة ودمنة» وهي لا تقل أهمية عن حكايات «ألف ليلة وليلة»، « هذه الحكايات اعتمدت على رموز ودلالات تم

[1]– علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي المعاصر،مصر،1997، ص 138.

[2]– علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، المرجع السابق، ص 139.

نقلها على لسان الحيوانات تحمل في ذاتها إشارات لها معنى ومغزى ولو فككناها لوجدناها تعبر عما يحدث في المجتمع»[1] ، إذ تعتبر هذه الحكايات من أشهر وأهم ما خلفه لنا الموروث الشعبي الأدبي، له قيمته عند الكثير من الكتاب الذين يوظفونه على شكل تراث أدبي.

3- التراث الديني:

يعتبر الإسلام رسالة إلى كافة الناس، ومصدرا غنيا يسعى الكتاب والشعراء إلى توظيف الكثير من الشخصيات الإسلامية الموجودة فيه، كما يشكل التراث الديني هو الآخر منبع استفاد منه الكتاب أيضا، وقد خصص لهذا الجانب مساحة ليتقاطع مع اتجاهات وإيديولوجيا أخرى لطالما عرفتها الرواية على العموم.

«الدين ذو حدين يمكنه في مجتمعات التخلف أن يلعب دورا طبقيا مناقضا لأهداف الإقطاع، وأن يكون في النهاية وسيلة من وسائل التوعية للجماهير».[2]

يمثل التراث الديني أحد مصادر التراث الشعبي: « وأعني بالتراث الديني الإسلام ولم يقتصر هذا النوع، بل تم استلهامه من الأديان الأخرى، ولقد قص القران الكثير من

---

[1]- المرجع نفسه، ص 170.

[2]- جعفر يايوش، الأدب الجزائري الجديد، مركز البحث الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ،الجزائر، 1969، ص 65.

القصص منذ أن بدأ ظهور الإسلام ولم يهتم بالقصة بذاتها بل أداة للتنقيب والعبر والحكم [1].«

قال الله تعالى:{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ }.[2].

وقال أيضا: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ}.[3].

فالتراث الديني هو مصدر أساسي في استلهام العبر والحكم، حيث يعكف الأدباء على استنباط قصصهم من القران الكريم، ومن ثمة يوظفونها في أعمالهم الأدبية ليأخذ القارئ

العبرة والحكمة منها، لذلك اعتبر التراث الديني «كل الصور لدى كل الأمم مصدرا سخيا من مصادر الإلهام الشعري، حيث يستمد منه الشعراء نماذج وموضوعات وصور أدبية، والأدب العالمي حاول بالكثير من الأعمال الأدبية العظيمة التي محورها شخصية دينية أو موضوع ديني أو التي تأثرت بشكل أو بآخر بالتراث الديني، ولقد كان (الكتاب المقدس) مصدر للشعراء الأوروبيين الذين استمدوا منه الكثير من الشخصيات الدينية.... [4]«

---

[1]– جمال محمد مناصرة، المسرح العربي بين مناهج التراث والقضايا المعاصرة، ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ص 69.

[2] _ سورة يوسف،الآية 111.

[3] _ سورة يوسف،الآية 03/02.

[4]– علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، المرجع السابق، ص 75.

إن أغلب التراث الديني الذي يوظفه الأدباء والكتاب في أعمالهم هي شخصيات دينية حملوها معاني ودلالات خاصة، فشخصية الشيطان مثلا أعطوها صفة التمرد والإيقاع بالإنسان في المكائد والمعاصي.

4- التراث التاريخي:

إن التراث عموما هو ما حدث في الماضي ويمتد إلى الحاضر "فالتاريخ ليس وصفا لحقبة زمنية من جهة نظر معاصر لها، انه إدراك إنسان معاصر أو حديث له، فليس هناك إذن صورة جامدة ثابتة لأي فترة من هذا الماضي".[1]

أما المقصود بالتراث التاريخي هو « هو استدعاء الشخصيات التراثية التاريخية والأحداث، هذه الإحداث والشخصية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة تنتهي بانتهاء وجوده الواقعي، فان إلى جانب ذلك دلالتها الشمولية القابلة للتجديد–على امتداد التاريخ– في صيغ وأشكال أخرى».[2]

يقوم الأدباء بإحياء التراث من خلال توظيفه بصور مغايرة، إذ نجد ذكرهم لأبطال التراث والدعوات النبيلة، وشخصيات الحكام والأمراء والشهداء، لا يتطابق في أحيان كثيرة مع قولها الفعلي. وقد وظفت الرواية الجزائرية المعاصرة التاريخ « محاولة منها استنطاقه ليدلي بشهادته الحية عن ماضي يقترب منا ويعيش فينا ومعنا، ويتصل بنا بصلة

[1]– مصطفى ناصيف، دراسة الأدب العربي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ص 206.

[2]– أحمد جير شعت، جماليات التناص، دار مجد لاري للنشر والتوزيع، ط 1، عمان، 2013، ص 76.

وطنية وقومية».[1] ؛ أي أن هذا النوع من التوظيف يكون بذكر الأحداث والشخصيات والأرقام والأسماء، وذلك من أجل تقريب الماضي بالحاضر، وإيصال أفكار الروائي للقارئ.

« وتقريب التاريخ من الواقع الجديد لأنها رأت أن تاريخنا أصبح بعيدا عنا مسافة أننا لم نستطع الوفاء له، ولم نعد نبالي بالحفاظ على تلك القومية والوطنية »[2] ،وبذلك يمكن أن يحافظ الكاتب على التراث ليبقى متداولا عبر الأجيال.

[1]– جعفر يايوش، الأدب الجزائري الجديد، مرجع سابق، ص 73.

[2]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني: توظيف التراث في رواية الخبز والإدام

ـــــــــــ لمحة الرواية

ـــــــــــ تجليات التراث في رواية الخبز والإدام

ـــــــــــ علاقة العنوان بالتراث

المبحث الأول: لمحة الرواية:

صدرت رواية "محمد بورحلة" 'الخبز والادام' عن دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع ببئر توتة الجزائر، تقع هذه الرواية في 164 صفحة من الحجم المتوسط، حيث تتوزع ثمانية (08) فصول، كل فصل منهما له دلالته الخامدة وأبعاده العميقة والصادقة التي تصب مباشرة في وجدان المتلقي.

إن رواية الخبز والادام تتحدث أو تحكي لنا عن واقع المثقف، والمبدع والكاتب بشكل خاص، تتحدث عن ذلك الواقع المهموم والحياة المظلمة التي سدت جميع أبوابها في وجه ذلك الصحفي الذي يحمل على عاتقه وزر الكتابة، أو لم يكن لديه الخيارات.

بهذه الرؤية الضبابية، وهذا الظلام الدامس يجد "محمد بورحلة" نفسه في حديثه مشطوب عليها بالأحمر والأسود القائم على الخبز لسد الرمق والادام لإطالة الوقوف حتى لا تسقط الراية.

بهذا الأسلوب السلس والمتدفق والعبارات الجميلة تأتي رواية الخبز والإدام لتكمل المشهد الثقافي والإبداعي في الروايات العربية الجزائرية عامة وفي ثقافتنا خاصة.

المبحث الثاني: تجليات التراث في رواية "الخبز والادام"

1- التراث الشعبي:

إن الأدب الشعبي مرآة ودليل، ولا شك في أن له دور مهم في استمرار الوجود والمحافظة على الروح القومية والجماعية، وذلك بتمجيد البطولات وترسخ العادات، « ويتميز الأدب الشعبي عن الآداب الأخرى في أنه أوسع انتشارا وأسرع تداولا على ألسنة الناس، يحاورهم ويثيرهم ويلازمهم في أعراسهم وسهراتهم ومآتمهم»[1].

فالتراث الشعبي أو الموروث الشعبي عبر مختلف أنماطه والمتمثلة في المكان والزمان والتي تنتظم في عدة فنون من الثقافة الشعبية. لاسيما فنون الأدب الشعبي من أشعار وحكايات خرافية، وقصص شعبية وملاحم وأمثال وألغاز وعادات وتقاليد، وممارسات شعبية لا تزال متجذرة في مجتمعنا الجزائري، وتؤثر فيه وتحركه، وكذا فنون الموسيقى والغناء والرقص الشعبي الجماعي والألعاب الشعبية.

كما يتخللها حركات إيقاعية وإشارات إيمانية عبرت بأصالة وصدق عن تاريخ الإنسان الجزائري، وهذا ما يجعل التراث رافدا غنيا للنص السردي الحريص على التعبير عن روح الجماعة.

[1]- سلمان نور، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1981، ص192.

تماما كما هو الحال لبورحلة الذي وظفه في روايته باعتبارها مادة أولية إذ استطاع الكاتب أن يحللها إلى مواقف ويحولها إلى مشاهد روائية، تساهم في بناء الحدث والشخصية، وفي تشييد معمارية النص يكون قد نجح في إنتاج نص روائي يتفاعل مع الموروث ويحاوره بشكل ايجابي مستمرا كل المقومات التي يزخر بها والتي تتجاوز مقولتي الزمان والمكان وتبرز قوة الموروث على الاستثمار والامتداد كل ما تم استدعاؤه في سياق الموروث .

نجد أن محمد بورحلة قد وظف عدة أشكال للتراث في الرواية منها:

أ- الأغنية الشعبية:

لقد صور ذلك في نصه الروائي من خلال شخصية "مقيدش" من حكاية مقيدش والغول التي سردتها جدته:

« ولما أكل الغول ابنته، بدأ مقيدش يغني: 'عن العوراء في التليس، اخزوا إبليس وكالين بنيتهم، يا عيتتهم' كانت العجوز تغني ... وكانت المداهمات تتواصل وكذا تغني معها حتى يذهب الخوف وينتصر مقيدش »[1].

وصور ذلك أيضا من خلال شخصية "دفنوه" « يوما، بينما كنت متواجدا بالفناء الفسيح لدار لرمود، بجانب رشيد وجمال، نستمع لحديث أم الجميع، العجوز العلياء، دخل

[1]- محمد بورحلة، الخبز والادام، دار الحضارة، ط1، الجزائر، ص9.

علينا "دفنوه"فجأة، فور اجتيازه الباب الغليظ، شرع يطوف حول العجوز، يرقص، يغني... دزددك يا حميد، ما جابك حد يا حميدا ... دزددك يا حميدا »[1].

وعلى لسان شخصية عبد القادر:

«يامقواني صابر، يامقواني صابر... راهم غابوا قاع الشرفة وتوحشت الحاج الطاهر... سيدي، كي يقعد في الساحة، يضرب كريح الفلاحة، تنزل عني ذيك الراحة، تتعافى من الأضرار، يا رب، يا سيدي... يا واحد القهار، حنن هذا الشيخ علي.أبو أحمد والمختار... إيه، وا، إيه، وا...»[2].

كما صور ذلك أيضا على لسان شخصية "دفنوه" وهو يغني ل: "شيخ الكتاب"« أيام الناف والنفناف، كنت في الجامع دافئ... اليوم لا نؤدي لك لا الكرفى ولا الصافي...»"[3].

يتضح مما سبق أن الثقافة الشعبية المتمثلة في الأغاني الشعبية والبدوية تنقل للقارئ صورة من صور الواقع الاجتماعي، فهي مرآة عاكسة لحال المجتمع بآلامه وأماله وأحزانه وأفراحه وثقافته وذلك عن طريق الكلمات التي تحمل معنى يوافق حقيقة الواقع.

[1]- المصدر نفسه، ص 29-30.

[2]– محمد بورحلة، الخبز والادام، المصدر السابق ،ص30.

[3]– المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

ب- المثل الشعبي:

ونجد ذلك في قول محمد بورحلة: «كأن الريف كان ينوب عن الأجداد، يؤكد وصيتهم، فيحفظ الميم لما يغزونا الكسل»[1].فنجد من خلال هذا المثل الشعبي (أحفظ الميم تحفظك) الذي وظفه الروائي محمد بورحلة من التعبير الصائب لما يكون في حياته الاجتماعية، من تناقض، باعتباره مرآة عاكسة للمخزون الحضاري للمجتمع وواقعه المعيشي وقوله أيضا: « تزوجت ابنة عمي، فكانت الفتاة لطيفة، تحسن الأشغال المنزلية، امرأة ونصف، كل أصبح بخدمة كما يقال...»[2].

المحل الشاهد في هذا القول هو "امرأة ونصف، كل أصبع بخدمة" ويقال للمرأة ذات المهارة في كل ما تفعله، وقوله: « غاب الأفق وغطت الحمم السماء... طاق على من طاق، الطائح أكثر من الناهض، ربهم الدورو، حوت يأكل حوت... والموت يأكل كل الحوت »[3].

فنجد من خلال هذا المثل الشعبي الذي وظفه محمد بورحلة أن القوي يأكل الضعيف بعبارة أوسع.

---

[1]- المصدر نفسه، ص7.

[2]- محمد بورحلة، الخبز والادام، المصدر السابق، ص25.

[3]- المصدر نفسه، ص124.

**يتضح هنا الأثر الثقافي بارزا في النص من خلال حضور المثل الشعبي، الذي أدى دورا مهما في التعبير عن قدر الإنسان. كونه موضوعا يستمد من أصالة وتراث الشعب الجزائري، كما يعكس الثقافة الشعبية للمجتمع.

ج- الحكاية الشعبية:

يتمثل في قول محمد بورحلة: «مرت أيام الطفولة من غير أن أثبت عنها كما يجب، أذكر الحلقة حول الكانون، صوت جدتي العجوز التي تعيد علينا للمرة الألف قصة مقيدش...»[1]. يبرز هذا النص الثقافة الشعبية لشخصية الجدة في سردها للحكايات الشعبية.

نلاحظ مما سبق أن التراث الشعبي قد اثبت حضوره بمميزاته الفنية والشعبية، على مستوى النص الروائي، كونه مستمدا من عمق أصالة المجتمع، فالموروث الشعبي بمختلف أنماطه من أشعار، وحكايات خرافية، وأمثال، وعادات، وتقاليد، وممارسات شعبية، تؤثر في المجتمع وسيرورته، وكما نلاحظ أن محمد بورحلة حاول إثراء المادة التراثية كمصدر ثقافي، مبرزا مدى أهميته ومكانته في المجتمع. فقد أراد تقديم الصورة الثقافية للمجتمع، انطلاقا من التراث، حيث يحمل في طياته أثرا ثقافيا يساعده في الكشف عن الوعي الحضاري والفكري، والذي يمثله المجتمع في الرواية.

2- التراث التاريخي:

[1]- محمد بورحلة، الخبز والادام، المصدر السابق، ص9.

على الرغم من حب الإنسان الشديد للماضي بكل ما فيه من تفاصيل وخبرات، فالماضي ملك التاريخ، والتاريخ حافظه حين يصبح بأحداثه وشخصياته مادة للرواية، فانه يصير بعثا كاملا للماضي، يرتبط فيها الحاضر بالماضي الخالد لرؤية فنية شاملة، فالروائي في استلهامه للتاريخ يعيد ترتيب الأشياء وتوزيع الأدوار كما يريد تأصيلا لرؤيته التي يقيم بناءها في معماره الروائي الجديد.

وعليه فإن التاريخ ليس بضاعة تستورد، وإنما هو فيض غزير متجدد الأخذ والعطاء تصنعه الأمم والشعوب، خلفا عن سلف، يرتبط بالرواية ارتباطا وثيقا كونها « تاريخ متخيل خاص داخل التاريخ الموضوعي وقد يكون التاريخ المتخيل تاريخيا لشخص أو لحدث أو لموقف أو لخبرة... أو لحظة تحول اجتماعي»[1].

ونجد في روايتنا "الخبز والادام" أن "محمد بورحلة" كغيره من الروائيين الجزائريين ولد صلة بين الماضي والحاضر من خلال ذلك التفاعل التاريخي، وأغنى التراث بثمرات عقله وأضاف إليه كل متكبر وأصيل، وتمثل ذلك في:

أ- الأحداث:

ونذكر من أهم الأحداث:

[1]- إبراهيم الفيومي، الرواية العربية، مؤسسة الدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الأردن، 2001، ص19.

فترة اندلاع الثورة التحرير: يقول محمد بورحلة: « خلال السنة الأولى ولد العربي، فانتظرت العلياء زيارات الجيران ولكن لم يزرها أحد، فمن يجرؤ على زيارة الهجالة..؟ بعدخمس سنوات تقريبا، بالضبط في السنة الأولى من اندلاع حرب التحرير، طلبت منها جارة معوزة أن تكفل ابنها السادس، فقبلت العلياء وارتبطت بسرعة شديدة برشيد الذي كان يبلغ عمره سنة»[1].

فالعلياء هي امرأة تعيش وحدها، دون ولي، تبحث عن عمل عند المستعمر، تختلط بالرجال، تخرج في الصباح الباكر ولا تعود إلا في ساعات متأخرة من الليل.

فالمرأة هذه مجنونة أو قليلة الحياء، مثلما لم يزرها أحد لما ولدت، لم يبحث أيضا أحد عن سبب خرجها.

وأيضا قوله: « كان الابن الكبير يشتغل سرا في إحدى خلايا الحركة الوطنية وكان لا يعلم هذا أحد، ماعدا أمه. كانت الاجتماعات تنعقد ليلا أو مساء في فناء دار لرمود... زار غازي مرارا سجون المستعمر وكما اندلعت الثورة كان من الأوائل الذين التحقوا بالجبال»[2].

[1]– محمد بورحلة، الخبز والادام ، المصدر السابق، ص 130.

[2]– المصدر نفسه، 134.

كما أن شخصية "العلياء" تدخلت في القصة ونجد هذا من خلال قوله: « اقتيدت العلياء أمام أعين الناس إلى مخفر الشرطة، ولكنها بالرغم من المعاناة، لم تتردد لحظة واحدة في تقديم الخدمة لسكان الجبل»[1] العلياء كانت تسمي هذا ب "الواجب المقدس" وتقول أنها ليس لها أي فضل في ذلك، وبعد عودة "غازي" من الجبل تيسر حال العائلة ماديا، ولكن ظهر مشكل جديد لم تجد له العجوز حلا. فعوض أن يبقى الأبناء رفقاء. أصبحوا فرقاء.

ويقول أيضا: « كنا نذهب إلى المدرسة لنقرأ، لنحاصر ونصارع العدو بسلاحه وفي عقر داره... وفي طريق العودة كنا نتساءل فيما إذا كانت الملائكة تسكن الجبال ومتى نلتقي بها... وليلا البحث الحثيث عن صوت المسعودي «خلي الثورة تولع نار...»[2] وبهذا نلاحظ اهتمام الروائي بتراثه التاريخي، محاولا إبراز انتمائه.

ب- الشخصيات:

وظف الروائي محمد بورحلة العديد من الشخصيات في هذه الرواية، من بين هذه الشخصيات:

[1]- المصدر نفسه، ن الصفحة نفسها.

[2]- محمد بورحلة، الخبز والادام، المصدر السابق، ص 140.

***جمال الأمهق:**

وهو صديق للروائي دردش معه والتقى به بمقهى الرتيلاء. يقول: « كالعادة وقبل أن تداهم الجمعة الناس، سيخصص بعض الوقت لقليل من الدردشة، استجابة لنداء المعالم، بعد تلبية طلبات البطن كما يقول جمال الأمهق »[1].

(والأمهق هو الشخص ذو البشرة البيضاء- عدو الشمس)

***حميد القوال:**

وهو من أكثر الشخصيات التي وظفها الروائي. يقول: "تأسف حميد القوال مرارا للحالة التي آل إليها يوم السوق الأسبوعي، فيقول أنه لم يعد مثلما عرفه"[2].

***الجدة:**

حيث وظفها الروائي في نصه من خلال حكاياتها الشعبية- يقول : " أذكر الحلقة حول الكانون صوت جدتي العجوز، التي تعيد علينا للمرة الألف قصة مقيدش "[3]

[1]- المصدر نفسه، ص 5.

[2]- محمد بورحلة، الخبز والادام، المصدر السابق، ص 6.

[3]- المصدر نفسه ، ص 2.

***شخصية رشيد:**

وهو صديق آخر للروائي كان يلتقي به أيضا رفقة "جمال الأمهق" يقول: "أخبرني رشيد أن جمالا كان يدعوه إلى تناول الغذاء... كان الأمهق يرفض كل حديث عندما يتناول اللوبيا... كأنه في تفكير عميق ولا يريد أن يزعجه أحد"[1].

***غازي أخ رشيد:**

وهو أحد الأبطال ومن الأوائل الذين صعدوا إلى الجبل إبان ثورة التحرير يقول:«لما رجع غازي إلى البيت العائلي بعد الاستقلال، استقبل استقبالا لا مثيل له، أظن أن سلطانا لم يكن ليحظى مثله. دخله غازي الحي وهو يلبس يومها لباسا عسكريا زيتوني اللون ويحمل على كتفه رشاشا من نوع (مات 49)»[2].

***عبد القادر دفنوه:** وظفه الروائي على أنه شخصية مجنونة يغني ويرقص.

يقول: « دخل علينا دفنوه فجأة... شرع يطوف حول العجوز، يرقص ويغني، يهز كتفيه..»[3].

[1]- محمد بورحلة، الخبز والادام، المصدر السابق ،ص17.

[2]- المصدر نفسه ، ص 20.

[3]- المصدر نفسه ، ص 29.

***العجوز العلياء:**

هي أم رشيد جمال، وغازي،يقول: « يوما، بينما كنت متواجدا بالفناء الفسيح لدار لرمود، بجانب رشيد وجمال، نستمع لحديث أم الجميع، العجوز العلياء»[1].

***شخصية جعفر:**

وهو صديق قديم لرشيد،يقول: « بعدما تعرفت على رشيد، أخبرني أنه كلما مر بجانب المقبرة تذكر جمالا وصديقه القديم جعفر وماذا فعلوا مساء يوم صيف حيث كان العرق والجنون في الموعد»[2].

ج- المكان:

يعد المكان في الرواية لبنة لا يمكن الاستغناء عنها، لأنه جزء مهم في مكونات البنية السردية للنسق الروائي، فهو الرمح الذي تدور فيه الأحداث والوقائع، ومن بين الأمكنة المختارة في الرواية:

[1]- محمد بورحلة، الخبز والادام، المصدر السابق. ، ص 29.

[2]- المصدر نفسه ، ص63.

- **مقهى الرتيلاء:**

حيث كان متنفسا للأصدقاء، واستجابة لنداء المعالم، فقد وظف محمد بورحلة المنطقة وما جرى فيها من أحداث. حيث يقول: « كالعادة...سيخصص بعض الوقت لقليل من الدردشة بمقهى الرتيلاء، استجابة لنداء المعالم»[1].

- **الريف:** حيث اعتبره الروائي معلما للدروس.

يقول: « كنت أنتظر زيارات الريف ولا أطيق الغياب الطويل... كأنها حضور أسبوعي يلقنني الدروس، لا يتركني أتدحرج ثم يعيدني إلى الأرض لتلتئم أجزائي حتى لا أتفسح، حتى لا يصعب التنفس، حتى لا أذوب... كأن الريف كان ينوب عن الأجداد، يؤكد وصيتهم فيحفظ الميم لما يغزونا الكسل»[2].

- **دار لرمود:**

أصل الكلمة فرنسي ويدل على أن المكان كان تابعا لمصلحة التجهيز بالخيل. قامت العجوز العلياء (أم غازي ورشيد) بترميمه واتخذته بيتا لأبنائها.

[1]– محمد بورحلة، الخبز والادام، المصدر السابق، ص 5.

[2]– المصدر نفسه ، ص 7.

- **سوق المواشي:**

فهو كان بمثابة فضاء رحب لجأ إليه رشيد للتأليف، فكانت تولد الكتابة هناك بالنسبة له.يقول الروائي: « سوق المواشي فضاء رحب لجأ إليه رشيد للتأليف فكانت الكتابة تولد هنا، بعيدا عن صخب المدينة وعيون الوشاة، بين تطهير أرسطو وتباعد برخت، كأنها مولود استحى به أهله»[1].

3- التراث الديني:

يعد توظيف التراث الديني لونا من ألوان التعبير الإنساني عن العواطف والميول والمثل العليا، وهو متصل أشد الاتصال بأمزجة الأفراد والأمم، وممثلا لها تمثيلا صادقا، قويا، وهو كذلك طريق من الطرق التي تسلكها الإنسانية إلى الجمال والمثل العليا.

التراث الديني حافل بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وكذا الطقوس والمظاهر الدينية، التي كانت ولا تزال شاهدا حيا على بقاء الإسلام في كل قلب ينبض.

وفي روايتنا هذه نجد أن "محمد بورحلة" قد وظف العديد من المظاهر الدينية، ومن الاقتباسات نجد:

[1]- محمد بورحلة، الخبز والادام، المصدر السابق ، ص 55.

قوله: « كالعادة، وقبل أن تداهم الجمعة الناس...»[1].

وقوله أيضا: « ينبغي للمرة الأخيرة أن نفهم أن النبي قد مات ولا نبي بعده... وأن الأفق أن يصنع في غيابنا فلماذا تريدونه مشوها»[2].

ونجد قوله أيضا: « فسمع بذلك قائد العرش، فقال لحاشيته كلمة أصبحت مثلا... "يا جماعة، تدبروا، فلن يصنع مدفع من الحطب ولن يكون الحكم للعرب»[3].

ونجد قوله: « أذاننا تسمع "طاب، طاب" ولكن الطير يقول لنا: "الحق غاب، الحق غاب، من عهد عمر بن الخطاب»[4].

يقول أيضا: « ولكن دون سذاجة أيضا لست مستعدا لأكفر بالشرف ولا بالأنبياء... ولا بالعقل أيضا»[5].

كما يظهر لنا جليا في قوله:« فقرأ عن الخارق والخرق وحتى عن خرقة النسور، فصام النهار وقام الليل وأظهر الخشوع حتى ظن أنه من الملائكة المقربين...»[6].

---

[1]– محمد بورحلة، الخبز والادام، المصدر السابق، ص 5.

[2]– المصدر نفسه ، ص 88.

[3]– المصدر نفسه ، ص 102.

[4]– المصدر نفسه ، ص 103.

[5]– المصدر نفسه، ص 117–118.

[6]–محمد بورحلة، الخبز والادام، المصدر السابق ، ص 119.

كذلك نجد قوله: « فلما رأيت ذلك، ضحكت طويلا وقلت: «هذا هو الذي كنت أعبد...؟»[1].

كما يقول أيضا: « فيرى الحقائق من خلال كأس البلور... بل صار شيئا فوق الناس، شيئا مقدسا... فكيف تريد منى أن أخاطب نبيا جديدا لا يخطئ، لا يعتبره ريب، لا يقبل مجرد الإيماء، أبسط الإشارات...»[2].

نجد قوله أيضا: « ولد العلياء الذي تربى بدار لرمود وقرأ على اللوحة معك، فختم حزبه بين يدي شيخ الكتاب... (الألف ما تنقط شيء)، أترى، لم أنس شيئا، لم أنس العين فم الذئب، ولا الهاء أم الكرشين، ولكنني مجبر على أخذ مفاتيح التقدم ممن يمتلكها »[3].

ونلاحظ من خلال هذا التوظيف الديني لمحمد بورحلة على أنه نابع من الحياة اليومية للإنسان الجزائري الذي يوظف فيها المصطلحات الدينية. وهذا ما نجده في المواطن البسيط الذي حاول الروائي أن ينقل معاناته، والتي يحاول أن يتخطاها ولو بأضعف الإيمان الدعاء والاستذكار.

إن التبرك بالأماكن المقدسة في الرواية المعاصرة هو شيء دأبت عليه العادة الأدبية، وكما هو "محمد بورحلة يحاول أن يأخذ القارئ في فسحة دينية بين الفنية و الأخرى.

---

[1]- المصدر نفسه ، ص 136.

[2]- المصدر نفسه ، ص 148.

[3]- المصدر نفسه ، ص 150.

ونلاحظ من خلال توظيف الروائي للموروث الديني على أن "محمد بورحلة" يهدف إلى استقطاب أكبر قدر من القراء من خلال محاولة تبسيط أفكاره واختيار الرموز الدينية لاهتمام الشعب بها.

بالإضافة إلى التفاعل مع الطقوس الدينية وإعادة بعثها من جديد في الرواية إنما هو بعث للقيم التي حاول الإنسان طمسها، فتصبح الرواية روحا تنبض بالتراث وعبق الأصالة بدلا من أن تبقى جافة.

4- التراث الأدبي في رواية الخبز والادام:

قد تقرأ رواية مشهورة، وتستلذ قراءتها معجبا بها، وربما تفتتن بها، وهي رغم هذا وذاك لا تصور واقعا مررت به، أو عقبات صادفتك ولا تعنيك من قريب أو بعيد، ولكنك إذا قرأت "الخبز والادام" فانك ستحس دون شك أنها تعنيك، بل ترى أنها تقول ما لم تستطيع أنت قوله.

إنها معاينة لواقع مهموم، وحياة لم يجد أصحابها الطريق بعد، إنها تصوير لحياتنا، لمعاناتنا، لتأوهات مثقف شعر بانسداد الآفاق أمامه، فلم يجد بدا من البوح، البوح بسر يعرفه الجميع دون أن يجرؤوا على قوله.

ذلك هو "الخبز والادام" بشخصياته الحية، المتحركة الفاعلة، الناظرة دائما إلى الأمام، لتحقق النقلة من عالم إلى آخر، عالم يأخذنا إلى الرحب والفسيح لنبتعد شيئا فشيئا عن الخبز والادام أيضا.

فمحمد بورحلة أراد تقديم صورة ثقافية للمجتمع انطلاقا من التراث، حيث يحمل في طياته ما يساعده في الكشف عن الوعي الحضاري والفكري، الذي يمثله المجتمع في الرواية. كما نجد أنه قد قدم لكل شخصية دورا يساهم في تسيير الأحداث وتطويرها وفقا لما يناسب الواقع المعاش للفرد، حيث حاول عن طريق الشخصيات أن يبرز بعض القضايا الاجتماعية مثل: (الزواج، الثورة، الفقر، الصحافة...) والتي كان لها أثر جلي في الرواية، انطلاقا من شخصية "حميد القوال" و"جمال الأمهق"، والزواج الذي وقف كحلم في حياة "الروائي".

1- الوصف:

نجد أنه احتل مكانة في بناء المشاهد الروائية حيث يسعى على مستوى النص إلى تقديم صورة تلامس الواقع وتعبر عن حالة المجتمع.

يقول الروائي: « المدينة، يتمدد جنوبا سوق المواشي، فضاء رحب لجأ إليه رشيد للتأليف، فكانت تولد الكتابة هنا، بعيدا عن صخب المدينة وعيون الوشاة...، شمالا، يستقبل الزائر حي "عين اليهود"... وكان يحد المدينة شرقا وغربا مقبرة صفراء يشرف

منها الأموات على تناطح الأحياء...»[1]. نلاحظ من خلال هذا المقطع السردي وصف الروائي للمدينة حيث يصور مكانا يعج بالفوضى والضجيج ، وحاول الابتعاد عنه.

كما نجده أيضا في موضع آخر: « دار لرمود، توجد الدار قرب المسجد العتيق، وسط حي شعبي يدعى "التنفس" لوجود مضمار قديم لكرة المضرب كان ينسي المستعمر ضغط الجبل لبعض الوقت، كان الحي يتمطى تحت ربوة عليها يشرف عليها خزان ضخم ينعدم فيه الماء...»[2].

ونجد أيضا حضور شخصيات أدبية وفكرية أمثال: أرسطو..برخت.

2- الشخصيات الروائية:

تعد الشخصية النقطة المحورية التي ينطلق منها نص الرواية حيث تعتبر (أحد الأفراد الخياليين أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة أو المسرحية)[3].

[1]- محمد بورحلة، الخبز والادام، المصدر السابق، ص 55.

[2]- المصدر نفسه ، ص 91.

[3]- فريال سماح، رسم الشخصية في روايات ختامية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1999 ، بيروت، ص 17-18.

فالشخصية من أهم العوامل المساهمة في تشكيل الرواية، حيث تعد«ركيزة الروائي الأساسية في الكشف عن القوى التي تحرك الواقع من حولنا وعن ديناميكية الحياة وتفاعلاتها، فالشخصية من المقومات الرئيسية للرواية بقولهم الرواية شخصية»[1].

وسنحاول استنباط أهم الشخصيات التي تجلت في رواية "الخبز والادام"، انطلاقا من الشخصيات الرئيسية لأنها الأكثر حضورا في النص الروائي:

***جمال الأمهق:** وهو صديق للروائي محمد بورحلة دردش معه والتقى به بالمقهى الرتيلاء. يقول: « كالعادة وقبل أن تداهم الجمعة الناس، سيخصص بعض الوقت لقليل من الدردشة، استجابة لنداء المعالم، بعد تلبية طلبات البطن كما يقول جمال الأمهق»[2].

***حميد القوال:** وهو من أكثر الشخصيات الرئيسية التي وظفها محمد بورحلة، يقول: « تأسف حميد القوال مرارا للحالة التي أل إليها يوم السوق الأسبوعي، فيقول أنه لم يعد مثلما عرفه»[3].

***الجدة (جدة محمد بورحلة):** حيث وظفها الروائي في نصه من خلال حكاياتها الشعبية.يقول:« أذكر الحلقة حول الكانون صوت جدتي العجوز، التي تعيد علينا للمرة الألف

[1]– محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1993، ص 456.

[2]– محمد بورحلة، الخبز والادام ، المصدر السابق، ص 5.

[3]– المصدر نفسه، ص 6.

قصة مقيدس»[1].

***شخصية رشيد:** وهو صديق أخر لمحمد بورحلة كان يلتقي به أيضا رفقة جمال الأمهق.

يقول: "أخبرني رشيد أن جمالا كان يدعوه إلى تناول الغذاء... كان الأمهق يرفض كل حديث عندما يتناول اللوبيا... كأنه في تفكير عميق ولا يريد أن يزعجه أحد"[2].

***غازي أخ رشيد:** وهو أحد الأبطال ومن الأوائل الذين صعدوا إلى الجبل في مدينة إبان الثورة التحريرية المجيدة.

يقول: "لما رجع غازي إلى البيت العائلي بعد الاستقلال، استقبل استقبالا لا مثيل له، أظن أن سلطانا لم يكن ليحظى مخله. دخل غازي الحي وهو يلبس يومها لباسا عسكريا زيتوني اللون، ويحمل على كتفه رشاشا من نوع (مات 49)"[3].

[1]– محمد بورحلة، الخبز والادام ، المصدر السابق، ص 9.
[2]- المصدر نفسه، ص 17.
[3]- المصدر نفسه، ص 20.

***عبد القادر دفنوه:** وظفه الروائي محمد بورحلة كشخصية هزلية ومضحكة.

يقول: « دخل علينا دفنوه فجأة... شرع يطوف حول العجوز، يرقص ويغني، ويهز كتفيه...»[1]

***العجوز العلياء:** هي أم الجميع كما يسميها محمد بورحلة أم رشيد وغازي وجمال.

يقول: «يوما، بينما كنت متواجدا بالفناء الفسيح لدار لرمود بجانب رشيد وجمال، نستمع لحديث أم الجميع، العجوز العلياء»[2].

***شخصية جعفر:** وهو صديق قديم لرشيد

يقول محمد بورحلة: "بعدما تعرفت على رشيد، أخبرنا أن كلما مر بجانب المقبرة تذكر جمالا وصديقه القديم جعفر. وماذا فعلوا مساء يوم صيف، حيث كان العرق والجنون في الموعد"[3].

[1]- محمد بورحلة، الخبز والادام ، المصدر السابق، ، ص 29.

[2]– نفس، صفحة 29.

[3]– نفس صفحة 63.

3- الزمن:

يعتبر الزمن عنصرا من العناصر الفنية في الرواية، وله أثر فعال في تسيير أحداث النص الروائي. ويمكن استخلاص الزمن في الرواية من خلال أحداث المجتمع، نورد أهمها:

يقول محمد بورحلة: "يوم السوق الأسبوعي... كان اليوم مخصصا للسوق الأسبوعي، استجابة لرغبة البطن وشكاوي الركبتين. كان يوم جميلا بالفعل"[1].

ففي هذا اليوم خيل إليه بأنه لا زال ذلك المراهق الحالم والمرح وأنه لا زال يبصر جمال الأفق.

حيث قال: "كان اليوم الجميل فرصة لأحيى من جديد، رغم الجروح المفتوحة والملح داخلها، رغم السكين الذي يتحرك ببطء في صميم الجرح"[2].

يقول كذلك: "عند الواحدة بعد الزوال، بدأت أشم رائحة الشياط ولا يملأ الطريق إلا خردة وسراب تصنعه كثبان الرمل وأشعة النور... قال لي جمال اثر ليلة كنا نتسامر فيها

[1]- المصدر نفسه، ص 5.

[2]- محمد بورحلة، الخبز والادام ، المصدر السابق، ص 5.

في الفناء الفسيح لدار لرمود... أتذكر أنني كنت أظن بأن الحلم يكون ثنائيا والحياة كذلك"[1].

ويضيف أيضا: "زار غازي مرارا سجون المستعمر ولما اندلعت الثورة كان من الأوائل الذين التحقوا بالجبال"[2].

فقد أراد من خلال هذا أن يوضح عزيمته، وشجاعة المجتمع الجزائري في تحقيق الأمن في بلادهم عن طريق الثورة، الحركة الوطنية.

4- المكان:

يعتبر المكان من عناصر البنية السردية للرواية حيث تستند عليه كل مكونات النص السردي، فهو يكشف عن ثقافة المجتمع ويعبر عن فكره وحضارته، انطلاقا من العلاقة الكائنة بين المجتمع والمكان.

[1]- المصدر نفسه، ص 24.

[2]- المصدر نفسه، ص 134.

نجد الأماكن المفتوحة:

- **المقهى:** حيث كان متنفسا للأصدقاء، واستجابة لنداء المعالم، فقد وظف محمد بورحلة المنطقة وما جرى فيها. حيث يقول: «كالعادة سيخصص بعض الوقت لقليل من الدردشة بمقهى الرتيلاء، استجابة لنداء المعالم»[1].
- **الريف:** اعتبره محمد بورحلة فضاء لراحة النفس ، حيث يقول:« كنت أنتظر زيارات الريف ولا أطيق الغياب الطويل، كأنها حضور أسبوعي يلقنني الدروس، لا يتركني أتدحرج، ثم يعيدني إلى الأرض لتلتئم أجزائي حتى لا أتفسخ، حتى لا يصعب التنفس، حتى لا أذوب.. كأن الريف كان ينوب عن الأجداد، يؤكد وصيتهم، فيحفظ الميم لما يغزونا الكسل»[2].
- **دار لرمود:** كلمة فرنسية الأصل وتدل على أن المكان كان تابعا لمصلحة التجهيز بالخيل، قامت أم الجميع 'العجوز العلياء' (أم غازي ورشيد) بترميمه واتخذته بيتا لأبنائها.
- **سوق المواشي:** كان بمثابة فضاء رحب لجأ إليه رشيد للتأليف، فكانت تولد الكتابة هناك بالنسبة له.

[1]– محمد بورحلة، الخبز والادام ، المصدر السابق، ص 5.

[2]– المصدر نفسه، ص 7.

يقول الروائي محمد بورحلة: « سوق المواشي... فضاء رحب لجأ إليه رشيد للتأليف، فكانت الكتابة تولد هنا، بعيدا عن صخب المدينة وعيون الوشاة، بين تطهير أرسطو وتباعد برخت، كأنها مولود استحى به أهله...»[1].

[1]– محمد بورحلة، الخبز والادام ، المصدر السابق ، ص 55.

المبحث الثالث: علاقة العنوان بالتراث:

يعتبر العنوان نصا موازيا يشكل مدخلا أساسيا لدراسة النص الأدبي، ومفتاحا هاما للدخول إليه،بوصفه علامة تتموقع في واجهة هذا النص الأدبي.

وفي تحديد مفهوم العنوان يقول "محمد فكري" : « العنوان للكاتب كالاسم للشيء به يعرف وبفضله يتداول، يشار به إليه ويميل به عليه يحمل وسم كتابه، وفي الوقت نفسه يسميه العنوان – بإنجاز يناسب البداية– علامة ليست من الكتاب جعلت لكي تدل عليه[1]»

من خلال هذا التعريف تظهر الطبيعة اللغوية للعنوان « العنوان علامة لغوية تتموقع في واجهة النص، لتؤدي مجموعة وظائف تخص أنطولوجية النص ومحتواه، وتداوليته في إطار سوسيو ثقافي خاصا بالمكتوب[2] ».

والعنوان مرتبط أشد الارتباط بالنص الذي يعنونه، ويكونان معا علاقة جدلية، فبدون النص يعجز العنوان عن تكوين محيطه الدلالي، وفي غيابه يتعرض للذوبان في نصوص أخرى، ومما لاشك فيه أن عناوين النصوص مضمنة بعلاقات دالة تغلب عليها الصور الإيحائية.

[1]– محمد فكري، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة الصرية العامة للكتاب، 1998، ص 15.

[2]– خالد حسين حسين، في نظرية العنوان،التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، 2007، ص 77.

وهنا على القارئ أن يؤول العنوان معتمدا على خلفيته الفكرية والذهنية ليصل لإلى مفهوم الرواية، ولهذا فهو يقوم بدور هام جدا وهو أن يلفت انتباه القارئ من الوصلة الأولى ويغريه ويبعث فيه روح الكشف والقراءة.

فعنوان رواية " الخبز والإدام " لـــ : " محمد بورحلة " عنوان موضوعاتي إذ أنه يتصل بموضوع الرواية وجوهرها.

إن اختيار الكاتب لعنوان " الخبز والإدام " من أجل أن يتصدر الرواية ينم عن رمزية وإيحائية يبثها العنوان في نفس كل من يقرأه الأول وهلة، فهو يثير الغرابة والدهشة.

فقد تقرأ رواية مشهورة، وتستلذ قراءتها معجبا بها، وربما تفتتن بها، وهي رغم هذا وذاك لا تصور واقعا مررت به، أو عقبات صادفتك ولا تعنيك من قريب أو بعيد، ولكنك إذا قرأت " الخبز والإدام " فأنك ستحس دون شك أنها تعنيك، بل ترى أنها تقول ما لم تستطيع أنت قوله.

إنها معانية لواقع مهموم وحياة لم يجد أصحابها الطريق بعد، إنها تصوير لحياتنا، لمعاناتنا، لتأوهات مثقف شعر بانسداد الأفاق أمامه، فلم يجد بدا من البوح، البوح يسر يعرفه الجميع دون أن يجرؤوا على قوله.

ذلك هو " الخبز والإدام " بشخصياته الحية، المتحركة الفاعلة الناظرة دائما إلى الأمام، لتحقق النقلة من عالم إلى أخر، عالم يأخذنا إلى الرحب الفسيح، لنبتعد شيئا عن الخبز وعن الإدام أيضا.

وأهم مقطع يجسد صلة العنوان بمتن الرواية في قوله: « مدينة مشطوب عليها بالأحمر والأسود القائم ؟ الخبز لسدر الرمق والإدام لإطالة الوقوف، حتى لا تسقط الراية، ففي بلدتي، عندما يولد الطفل، يرضع الإدام وعندما نأكل، لا يفارق الإدام خبزنا... بالفعل، هكذا كان الأهل... الخبز لشد الركبة ولمواصلة السير، رغم التعاسة ونداء الزواحف، الإدام... حتى الثمالة، حتى السكر»[1]

وبالتالي تلخص المفردتان مضمون الراوية ككل، والعنوان أيضا يسير وفق مسارها المتصل بكل حيثيات الإنتاج الأدبي، فهو قادر على استنطاق الرواية والمشاركة حتى في إنتاج المعنى.

وبذلك لا أحد يستطيع أن ينفي علاقة العنوان بالنص الإبداعي فهو من العناصر المجاورة والمحيطة بالنص الرئيسي إلى جانب الهوامش والمقدمات والاقتباسات، فالقارئ لا يستطيع قراءة الجنس الأدبي دون التدقيق في العنوان، لذا فهو يعتبر بداية النص الإبداعي.

[1]- محمد بورحلة، الخبز والادام ، المصدر السابق، ص 87.

خاتمة

في ختام رحلتنا التي قضيناها في هذا البحث الموسوم ب : " توظيف التراث في الرواية الجزائرية المعاصرة " لنقف عند أخر جزئية من هذا البحث، لنرصد فيه أهم النتائج التي توصلنا إليها والتي نلخصها في الأتي :

ـــــ أن التراث انتقال ما نورث من تقاليد وعادات وخبرات وفنون من زمن إلى زمن، وبصفة مستمرة من مجتمع إلى مجتمع سواء كان هذا التراث ماديا أو معنويا.

ـــــ إن حضور التراث في حياة الأمة عموما، هو ما يؤكد الوجود الفعلي والحضاري لتلك الأمة.

ـــــ إن التراث بثراء مصادره وتنوع حقوله قد شكل منبعا ثريا بأحداثه ومواقعه وشخوصه، مما أعزى الكاتب به، فأخذ ينهل منه رموزا لتطوير وإثراء تجاربه الأدبية.

ـــــ لجوء الروائي إلى موروث البيئة المحلية التي ينتمي إليها (قصر البخاري) وإلى ثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه ليرسم لوحة فنية معبرة عن جمال المجتمع الجزائري بكل ما فيه .

ـــــ يحيلنا الروائي الجزائري محمد بورحلة في رواية " الخبز والإدام " إلى حكايات الجزائريين أيام الاستعمار الفرنسي.

ـــــ تزخر رواية " الخبز والإدام " بأنواع عدة من التراث لا سيما التاريخي، ومن خلال ذلك يفتح الروائي عيون قرائه على أهمية التراث.

ـــــــ الغرض من توظيف التراث هو تحميله دلالات جديدة ومعاصرة ويتخذ مناحي مختلفة، جمالية وفنية، مما يجعل الرواية تدخل في منظومة جديدة، واتجاه فني حديث تتبناه الرواية العربية بصفة عامة.

وفي الختام لا نزعم بأننا قد أنهينا البحث في هذا الموضوع، وإنما نكون قد فتحنا المجال لدراسات أكاديمية أخرى، تكمل ما بدأناه والله من وراء القصد شهيد.

الملاحق

نبذة عن حياة الروائي محمد بورحلة:

محمد بورحلة مثقف عصامي وإطار إداري سابق من مواليد قصر البخاري (27 أوت 1950)، غادر المدينة سنة 1977. زاول تكوينه المهني بمركز التكوين الإداري (الجزائر العاصمة) 1973 - 1975 ثم المعهد العالي للتسيير والتخطيط برج الكيفان(الجزائر العاصمة)ومدارس خاصة متخصصة في تسيير الموارد.

- محمد بورحلة مفكر، وروائي، وقاص، وكاتب مسرحي، ومترجم، وصاحب مقالات صحفية. كان ناشطا مسرحيا أثناء السبعينيات بمدينتي الجزائر – العاصمة وقصر البخاري. يكتب باللغة العربية والفرنسية. له عدة مؤلفات ، نذكر منها "الخبز والإدام"، "قبل البدء حتى" ، " جبانة الغربة " ، وبالفرنسية "Le pire des mots " الذي يقول عن أسلوبه الأستاذ يعقوب العربي، مفتش اللغة سابقا بقصر البخاري: "فيه الوصفي الدقيق للكاتب – بلزاك –والواقعية–لإميل زولا–والسخرية–لفولتير– والكاركاتورللجاحظ."

- في المسرح، نذكر مسرحية "الملك يلعب" التي نال نصها جائزة أحسن نص أصلي في الطبعة السابعة للمهرجان الوطني للمسرح المحترف 2012، و "في انتظار المحاكمة" التي كانت موضوع دراسة من جامعة ألزاس العليا بفرنسا، ومسرحية "عودة الولي" المقتبسة عن رواية الطاهر وطار "الولي الطاهر يعود إلى مقامة الزكي"، والتي يقول عنها المسرحي عمر فطموش إن محمد بورحلة "فجر فيها مفهوم الاقتباس". يقول

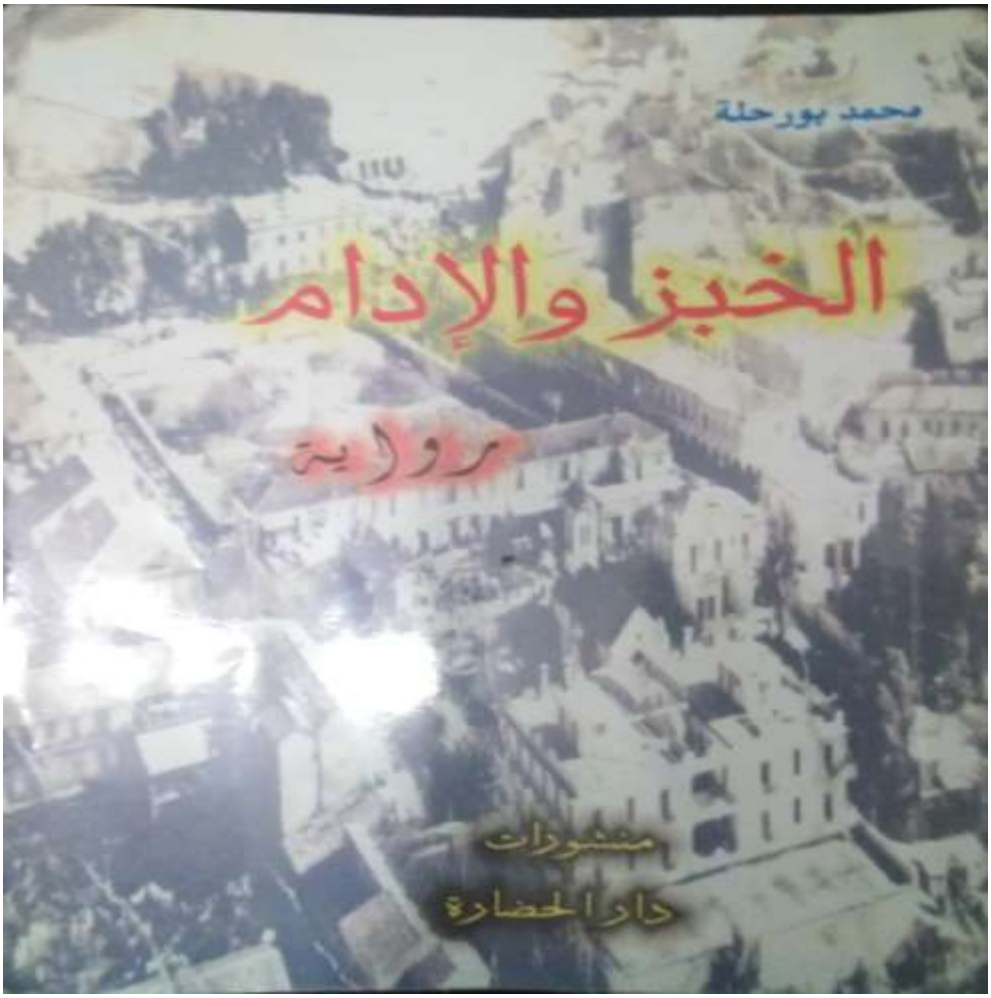
عن الكاتب محمد بورحلة الدكتور وحيد بوعزيز، من جامعة الجزائر، إنه "كاتب بعيد عن الميديا لا بد أن يكتشف"، ويضيف الدكتور سليم حيولة من جامعة المدية" الحديث عن كتابات بورحلة حديث عن تحولات هامة في الرواية الجزائرية المعاصرة فمن "الخبز والإدام" و«قبل البدء حتى"، "Le pire des mots "ومسرحية "الملك يلعب"، استطاع بورحلة ابن مدينة قصر البخاري؛ مدينة المثقفين والكتاب أن يحدث تحولا في السرد الروائي المعاصر، هو حقا كاتب شخصية محمد بورحلة وكتاباته تذكّرنا بالكتاب الجزائريين الكبار أمثال محمد ديب ومالك حداد". في مجال الترجمة، ألف بورحلة "الزاد (قاموس فرنسي–عربي في مصطلحات تسيير الموارد البشرية – 1998) ، وترجم كتاب الأستاذ أزراج عمر "أحاديث في الفكر والأدب" إلى الفرنسية (الفصل المتعلق بالمسرحي عبد القادر فراح) 2018، كانت روايته بالفرنسية " Froiville "ترجمته لروايته "قبل البدء حتى...".

كما أنه صحح، تطوعا، طبعة القرآن الكريم بالفرنسية الصادرة عن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة 2008 – فنال عمله رسالة تقدير وشكر من السلطات السعودية عن طريق الملحقية الثقافية لسفارة المملكة العربية السعودية بالجزائر .(2010) نشط عدة محاضرات في الفكر، وأطر عدة ورشات في الكتابة الأدبية والمسرحية، كان عضوا في لجنة تحكيم الطبعة العاشرة للمهرجان الوطني للمسرح المحترف) الجزائر (2015 ومستشارا للمخرج المسرحي زياني

شريف عياد في عدة مشاريع فنية. أعماله كانت محل دراسات جامعية عديدة. مما في رصيده 17 نصّا مسرحيا، روايتان بالعربية، ديوان 10 قصص قصيرة بالفرنسية، رواية بالفرنسية الخ.

كما نال محمد بورحلة من شهادات تقديرا لعمله: شهادة تكريم محافظة المدية للمهرجان الوطني للمسرح الفكاهي 2010، شهادة تكريم من طرف جامعة المدية قسم الدراسات النقدية الحديثة والمعاصرة 2013 ، شهادة شكر وتقدير من طرف جامعة باتنة قسم اللغة والأدب العربي والفنون 2015، شهادة تقدير من طرف وزارة الثقافة الجزائرية2017 .

- **من أهم مؤلفاته:**



كتبت رواية "الخبز والإدام" سنة 2006، ويدور موضوعها حول صراع إخوة وحيرة مثقفين ومعاناة شباب يعانون من التهميش والاستصغار والتهم الجاهزة مسبقا. وتتميّز القصة في بنية السرد بتحطّم خطية الزمان والمكان وإيثار الاستطراد وكذلك استعمال الأضداد، ورواية "الملك يلعب" التي صدرت سنة 2010 وتحصلت على جائزة أحسن نص مسرحي أصلي سنة 2012 وروايات أخرى... ولديّ مؤلفات في

الترجمة؛ حيث صدر لي كتاب "الزاد"، وهو قاموس فرنسي – عربي في مصطلحات تسيير الموارد البشرية.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم برواية ورش**
- **قائمة المصادر:**

– ابن منظور، لسان العرب – دار لسان العرب – بيروت – إعداد وتصنيف يوسف الخياط – د ط ، د ت ، ج 3.

– محمد التونجي، المعجم المفسر في الأدب،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط1 ،1993.

– محمد بورحلة ، الخبز والإدام ، منشورات دار الحضارة ، المدية ، الجزائر، ط2 ، 2004 .

–عبد النور جبور ، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين،بيروت، ط 1 ، 1979.

- **قائمة المراجع:**

– الطاهر بولحية ، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية ، منشورات التبيين ، الجزائر ، د ط ، 2000.

– أحمد جير شعت ، جماليات التناص ، دار مجد للنشر والتوزيع، عمان ، ط 1 ، 2013–2014.

- إبراهيم الفيومي ، الرواية العربية ، مؤسسة الدراسات الجامعية للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2001.

- إحسان عباس ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، دار الشروق للنشر والتوزيع الأردن، ط 3 ، 2001.

- حسين نصار ، الشعر الشعبي العربي ، منشورات اقرأ ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1980.

- جعفر يايوش ، الأدب الجزائري الجديد ، مطبعة مركز البحث الأنتروبولوجيا الاجتماعية وثقافية ،الجزائر.

- جمال محمد مناصرة ، المسرح العربي بين مناهج التراث والقضايا المعاصرة ، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان ، د ط ، د ت.

- خالد حسين حسين ، في نظرية العنوان، التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق ، 2007.

- محمد عابد الجابري ، التراث والحداثة دراسات ومناقشات المركز الثقافي العربي ، سوريا،ط 1 ، 1991.

- محمد نور الدين أفانيه ، المتخيل والتواصل ، دار المنتخب العربي ،لبنان، ط 1 ، د ت .

– مصطفى ناصيف ، دراسة الأدب العربي ، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة .

– محمد فكري ، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د ط ، 1998.

– محمد حسين سليمان ، التراث العربي الإسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر.

– سعيد سلام ، التناص التراثي في الرواية الجزائرية ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط 1 ، 2010.

– سعيد يقطين ، الرواية والتراث السردي ، المركز الثقافي العربي ، لبنان، ط 1 ، 1992.

– سلمان نور ، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير ، دار العلم للملايين ،، بيروت ط 1 ، 1981.

– علي عشري زايد ، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، دار الفكر العربي المعاصر ،مصر، د ط ، 1997.

– فريال سماح ، رسم الشخصية في روايات ختامية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ط 1 ، 1999.

– رمضان الصباغ ، في نقد الشعر العربي المعاصر ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية – ط 1 ، 1998.

- **المجلات:**

1/ اسماعيل الحسين، مجلة الجزيرة، ع10575، ط1، 2001، السعودية.

2/ سالم مكرم ، التراث وثقافة الأمة ، ندوة عقدتها مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة الكويت ، العدد 35 ، 1989.

3/عبد السلام المسدي،توظيف التراث في الشعر العربي المعاصر،مجلة العربي ،الكويت، ع416،1993.

الفهرس

فهرس الموضوعات	
إهداء	
مقدمة	أ
فصل تمهيدي	
توظيف التراث ونشأة الرواية	**5**
الفصل الأول: التراث في الرواية الجزائرية المعاصرة	
المبحث الأول: ماهية ومفهوم التراث	**12**
1- مفهوم التراث:	**12**
2- أهمية التراث	**16**
3- علاقة التراث بالرواية	**18**
المبحث الثاني: أنواع التراث	
1- التراث الشعبي (الفلكلور):	**22**
2- التراث الأدبي	**23**
3- التراث الديني	**25**
4- التراث التاريخي	**26**
الفصل الثاني: توظيف التراث في رواية الخبز	
المبحث الأول: لمح عن الرواية	**29**
المبحث الثاني: تجليات التراث في الرواية	
1- التراث الشعبي	**30**
2- التراث التاريخي	**34**
3- التراث الديني	**41**
4- التراث الأدبي في رواية الخبز والإدام	**44**
المبحث الثالث: علاقة العنوان بالتراث	**52**
الخاتمة	**56**
الملحق	**59**
قائمة المصادر والمراجع	**65**